أمور يحار فيها العقل

أمور يحار فيها العقل

○ النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

بعث النبي محمدا صلى الله عليه وسلم أميا ، ومع ذلك كان أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء، ففي أقواله صلى الله عليه وسلم نجد ملامح البلاغة ماثلة لا تخطئها العين ، والشواهد جمة :

ففي قوله الإيجاز مثل :

- لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر.
- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . وحسبك في شرح (لا يظلمه) أو (لا يسلمه) أو (لا يخذله) كلمات لا تكفي لشرحها صفحات وصفحات .

ومن إيجازه صلى الله عليه وسلم في القول :

- طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .
- تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه
- ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء .
- من أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله في نهابر.
- إن من البيان لسحرا .

في كل حديث من هذه الأحاديث عبارات قليلة ، ولكن في طياتها المعاني الكثيرة التي لا يحصيها العد ، فهل يعقل أن يصدر مثل هذا الإيجاز من أمي ؟؟؟

وفي قوله صلى الله عليه وسلم جمال التصوير ، وروعة التشبيه مثل :

- أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه خمس مرات كل يوم ، أيبقى من درنه شيء ؟؟؟ قلنا بلى يا رسول . قال : كذلك الصلوات الخمس يذهب الله بها الخطايا .

ما أروع الصورة ، وما أجمل التشبيه الماثل ، إذ يصور الصلوات في إذهابها خطايا الإنسان بالنهر الذي يغتسل فيه المرء فتزول أدرانه ن وينظف بنيانه .

وانظر إليه صلى الله عليه و لم في تصوير رائع يقول :

رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ... "هذه أركان الدين الثلاثة . يصورها بالبناء المتين القائم : عموده الصلاة ، وأعلاه الإسلام وذروته الجهاد .

ويقول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى :

" الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار"

تشبيه حسي واضح جلي ، يجسم قيمة الصدقة ، ويبرز أثرها في إزالة الخطايا .

ثم انظر إليه كيف يصور الغضب ، يقول صلى الله عليه وسلم :

" إياكم والغضب فإنه جمرة تتوقد في فؤاد ابن آدم ، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه ، تنتفخ أوداجه ، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضطجع ، أو ليلصق بالأرض " ولأن الغضب ريح تهب فتطفئ سراج العقل فقد قال صلى الله عليه وسلم : " إن الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من النار وإنما يطفئ النار الماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ".

أرأيت كيف يصاغ التشبيه ، وكيف يجسم المعنوي ويبرزه في صورة محسوسة ؟ ؟

وفي تصوير بخلب اللب ، وبريح القلب ، وبحلق بثنايا الروح ، بصور مابين المسلمين من تواد وتراحم في قوله :

" مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى "

أية أمية تجعل من صاحبها عبقريا ينطق بمثل هذه الدرر الثمينة التي لا تعدلها كنوز الأرض وزنا وقيمة ؟؟

حاشاي يا رسول الله أن أقول عنك أميا ، وقد تعلمنا منك الفصاحة وشربنا من حديثك العذب كيف تكون الإبانة ؟

- وعجيب قولهم (أمي) وفي أمره ما يفوق عقول النابهين ، ويبز أفهام النابغين : لقد كان جبريل ينزل عليه بالآيات من عند شديد القوى ، يقرا عليه ما قدر له من آيات مرة واحدة ، فتنطبع في ذهنه الشريف صلى الله عليه وسلم، ويعود فيقرأ ما نزل عليه على مسامع كتاب الوحي من الصحابة ، ثم يرددها في الصلوات الجهرية (المغرب والعشاء والفجر) دون أن ينسى منها حرفا واحدا ، أو يخطئ في كلمة ....

وأتحدى ....جيء لي بعالم من أعظم العلماء الموجودين الذين يتمتعون بذاكرة خارقة للعادة في أي مكان في العالم ، وسأعطيه نصا مكتوبا من عشرة أسطر وسأطلب منه قراءتها عشر مرات ، ثم اطلب منه أن يعيد ما قرأ غيبا .. أتحدى أن يفعل ، أتحدى أن يفعل !!!

أيكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد هذا الحفظ الخارق ، والذاكرة الواعية أميا ؟ حاشاه .. حاشاه .

إنه أمي ...أي جاء للأمة بأسرها ، وللعالم كله .

* الصلاة :

وعجيب أمر الصلاة ، وأمر من يؤديها ، ويحافظ عليها ، .إنك تجد المواظب عليها ومتقنها هادئ النفس ، نافذ البصيرة ، متزن التصرفات ، حريص على النظام لا يحيد عنه ، يتوخى الطاعة (طاعة أولي الأمر) ، بار بأقربائه وذويه متراحم مع مجتمعه وبيئته .

ونتساءل : كيف تكسب الصلاة الإنسان المسلم كل هذه الصفات ؟؟

وأقول موضحا من خلال هذا التشبيه :

لو أن لديك سيارة تواظب على عرضها على (الميكانيكي) أو مهندس السيارات مرة كل أسبوع ، كيف يكون حال هذه السيارة ؟

واضح أنها ستكون في أحسن حال ، جيدة الأداء قوية لا تتوقف ، تتحمل الصعوبات والمشقات .

وأقول لك: فما بالنا نحن عندما نصلي ؟ إنك عندما تصلي الخمس تعرض نفسك على خالقك خمس مرات ، لا تدري ماذا يصلح بداخلك ؟ في كل عرض على الله في المرات الخمس يصلح فيك شيئا دون أن تدري ، لأنه خالقك وأدرى بجسمك ونفسك ، وما تحتاج من إصلاح .

هذا الكلام ليس من اختراعي ، وما أوتيته من عندي ، إنما هو من كتاب الله الأعز الأجل الذي يقول :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]

* الرحمن الرحيم :

اسمان وصفتان من صفات وأسماء الله الحسنى ، يؤكدهما ما في الحديث القدسي من معنى أن الله عزوجل أرحم على عباده من الأم على وليدها ، وهذا أمر نؤمن به ونثق فيه ، أما من ينكر أو يزايله الشك فنقول له :

يا أخي : انظر إلى حال الأب والأم ، وما في قلبهما من حنان وعطف على أولادهما .. يتعبان ليرتاح الأبناء ، ويشقيان ليسعد الأبناء ، ويتعريان ليكتسي الأبناء .. كل هذا لمجرد أنه سبب في خلق الأبناء ، فما بالك في الخالق الأعلى الذي خلق الأزواج كلها؟؟؟

- يغضب الابن ويقسو ، ولكن الأب والأم يحتملان غضبه ، ويغفران له خطأه ، بل يسعدان عندما يأتي لمصالحتهما .
- أما خالق الأرض والسماء ، فإنه يفرح بعودة المسيء المذنب إليه ، وتسر السموات كلها بتوبة المذنب :

فقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)) (رواه مسلم).